

الفجائية

قصة بقلم الدكتور محمد قاسم

في كياني وترسخ جذورها في الصميم ، رحماهم فهم
يجهلون انهم احق الناس في المواساة .

سنوات ثلاث من الحب اقتلعتها سائق مخمور
وزرعت عجلات سيارته الآثمة ، الحقد في صدري والتيبس
في قلبي ورسمت لي طريق الحزن ، طريق الاسبى .
ما اضعف ذلك السائق المخمور ، لقد عجز عن قطع الخيط ،
لم يستطع اجتياح الماضي والحاقه بالمستقبل ، ولكن
ماذا يفيد الماضي ؟ ماذا يفيد دون مستقبل ؟

والنحيب ، هذا النحيب الذي يقطع افكاري ويشل
تخيلاتي اهو احتجاج ؟ وهل يتحتم علي ان ابكي ؟ اني
اريد ان احتج ، اريد ان يرتفع صوتي الى الآفاق البعيدة
مطالباً تبريراً لما حدث ، ولن اقتنع بالطبع ، لن اقبل الامر
الواقع بل سائور منادياً بتحقيق العدالة بين البشر ،
واعتقد اني ساجد رفاقا وسيجدون بدورهم رفاقا
آخرين ، وستقوم بمظاهرة انسانية .

لن نتوقف ، واذا حدث وقولنا بسائقين مخمورين
وسيارات آثمة اخرى ، فلن ينتهي الامر لاننا سنتابع
مسيرتنا هناك ، حيث نذهب .

تعالى النحيب اكثر فاكثر ولم استطع الاحتمال
اكثر ، وعندما تنازعني الافكار بين ان انزل الى الشارع
للبحث عن مصيري او ان اذهب للمشاركة في المآتم ،
فضلت الامر الاول ، وما هي الا لحظات حتى كنت أقف
على الشارع تحت الامطار .

انتظرت طويلا وسط الظلام ، وعندما يئست من
العثور على سيارة آثمة وسائق مخمور ، عدت الى المنزل .
كان الصمت قاتلا وموحشا . لقد انتهى المآتم وفي تلك
الساعة المتأخرة من الليل ، شعرت بأني عاجز حتى عن
البكاء ولم أستطع النوم ، لقد كان الخيط يشدني بلين
وشماتة .

هكذا فجأة ، انتهى كل شيء تقريبا ولم يبق سوى
ذلك الخيط من الماضي ، الذي يشدني بقسوة وشماتة .
لم يرد له ان ينقطع او يحترق ولست أعلم اذا كان الوقت
كفيلا بأن يتلفه او يضيعه وسط زحام الاحداث المجهولة
القادمة .

وحيدا تلفني الحيرة ويطنى علي الشroud ، لاول مرة
أحسست بقيمة الاشياء الثمينة التي تختفي دون
مقدمات . صوت والدتي يصل الى أذني متقطعا حادا ،
لقد تبينته واضحا رغم نواح الكثيرات اللواتي اجتمعن
في بيت جيراننا ، دار الفقيدة .

هل كانت والسدتي تحب مريم كثيرا حتى تبكيها
بهذه المرارة ؟ أم تراها تبكيها أنا وتندب مصيري ؟ كيف
حدث هذا ولماذا حدث ؟ أنا أعلم كما يعلم الجميع اننا
سنموت . . دون استثناء ، ولكن لماذا قتلت مريم بالذات
صاحبة السنوات العشرين ؟

هو حادث سيارة اذن ! والله ، اليس من حقه ان
يحمي رعاياه ويدافع عنهم ؟ مريم كانت تحب الله . لم
تقترب اثما يستحق ان تقتل لاجله ، اني أعرفها جيدا ،
ثم انها كانت ما تزال فنية وتستطيع ان تكفر عن ذنوبها
اذا كان ثمة من ذنوب ، فلماذا لم تمنح الفرصة ؟

هي سرعة سائق مخمور ، ولكن ما ذنبها ؟ كان
يجب ان تعيش كالاخرين ، كان يجب ان تعيش تجربة
الحياة . . الحياة كاملة بلذتها وقساوتها ، ثم تقابل المصير
المحتوم ، كالاخرين تماما ، أما الان فماذا سيقول لها الله ؟
تري هل تقابله ؟

السماء متلبدة بالغيوم ، لقد اختفى ضوء القمر
واحتجبت النجوم . . وأنا وحدي ، أهلي يشاركون
الجيران مأساتهم غير عالمين بأن المأساة انما تنبت هنا